

المراة وتمثلاتها في المجتمع في الدراسات الانثروبولوجية

سنوسي صافية

المركز الجامعي صالحى احمد النعاما

senoussi.safia@cuniv-naama.dz

استلم: 09/06/2024 ، مقبول: 20/06/2024 ، نشر: 30/06/2024

Abstract : *The issue of women has undergone major transformations in Western and Arab society, considering them subordinate to men, which has reduced their importance and status in a patriarchal society governed by customs and traditions and in which the image of men is prominent, but what is approved by the laws and heavenly religions is the opposite. This study aims to identify the image of women in society in ancient and contemporary anthropological studies. We start from the oldest social and global stages that humanity experienced until the modern era, where women had a social and religious status in ancient civilizations in which respect for women reached the utmost reverence, and contemporary ones are among the most important. Anthropological studies after Pa. Khoven, the views of Lewis Morgan, Frederick Image Engels, and Henry Manny are among those who studied the family, the state, authority, and the development of patriarchy, and contemporary anthropological theories, first and foremost the theory of Siegrist and the Murdoch Atlas about the affiliation of agricultural peoples to the maternal line, so women had a high social and religious importance. We also address women's issues in Arab society, where Islam gave them rights and duties to organize social life.*

KEYWORDS: women; representation; society

المخلص: عرف موضوع المراة تحولات كبيرة في المجتمع الغربي والعربي بإعتبارها تابعة للرجل مما قلل من أهميتها ومكانتها في مجتمع ذكوري تحكمه الأعراف والتقاليد وتبرز فيه صورة الرجل الا أن ما أقرته الشرائع والديانات السماوية عكس ذلك. تهدف هذه الدراسة الى التعرف على صورة المراة في المجتمع في الدراسات الانثروبولوجية القديمة والمعاصرة، نبدأ من أقدم المراحل الاجتماعية والعالمية التي عاشتها البشرية حتى العصر الحديث، حيث كانت للمراة مكانة اجتماعية ودينية في الحضارات القديمة والتي وصل فيها احترام المراة جد التقديس، والمعاصرة ومن أهم الدراسات الانثروبولوجية بعد با خوفن، آراء لويس مورغان وفريدريك صورة انجلز و هنري مني من الذين درسوا العائلة والدولة والسلطة وتطور النزعة الأبوية، والنظريات الانثروبولوجية المعاصرة في مقدمتها نظرية سيغريست وأطلس مردوخ حول انتساب الشعوب الزراعية الى خط الأم فكانت للمراة أهمية اجتماعية و دينية عالية، كما نعالج قضايا المراة في المجتمع العربي حيث أعطاها الإسلام حقوقا وواجبات لتنظيم الحياة الاجتماعية

الكلمات المفتاحية: التمثلات- المرأة - المجتمع .

مقدمة

إن موضوع المرأة بإشكالاته العديدة يفرض اليوم جدته وحيويته، ويحتل موقعا جديدا وهاما في العلوم الإنسانية، كما يطرح نفسه منذ الحرب العالمية الثانية على مستويات عديدة في مقدمتها إعادة قراءة آراء باخوفن أول من اهتم وكتب بموضوع المرأة وحقها الطبيعي في منتصف ق 19، من جديد لتصبح محور كثير من الدراسات الإنسانية الحديثة، سوف نعالج تطور النظام الأبوي والتحول من الأنساب الى خط الأم الى الأنساب الى خط الأب وتأثيره في المرأة والعائلة والحياة الاجتماعية والتطرق إلى قضايا المرأة في المجتمع العربي من حيث نظم العائلة والتصورات الدينية ودراسة أصول النظام الأبوي الذي ارتبط بنمط الإنتاج الرعوي وتأثيره في الحياة الاجتماعية وبخاصة المرأة

نسعى في هذه الدراسة الى قراء في المشهد الخاص بالمرأة في الدراسات الأنثروبولوجية القديمة و المعاصرة وكذلك مكانة المرأة في المجتمع العربي تشير الى عدد من التساؤلات الموضوعية والمعرفية حول صورة المرأة وتمثلاتها في المجتمع ولعل أهم التساؤلات ما يلي

- ما هي نتائج الدراسات الأنثروبولوجية حول المرأة؟
- ما هي مكانة المرأة في المجتمع العربي ؟
- فيما تمثلت اسهامات المرأة المسلمة؟
- ونظرا لأهمية الموضوع ونظرا لقلّة الدراسات الإنسانية والاجتماعية حول المرأة.

1-مكانة المرأة في المجتمع العربي

كان للمرأة وضعا استثنائيا في علاقتها مع الرجل، منذ الحضارات العليا القديمة فمع أهميتها ودورها الهام في العائلة وفي المجتمع، نجد أن دورها وأهميتها أخذتا بالانحسار التدريجي منذ سيطرة النظام الأبوي على وسائل الإنتاج وعلاقاته بعد أن كان للمرأة في المجتمعات الغابرة أهمية دينية واجتماعية عالية . وإذا أخذت المرأة منذ الثورة الصناعية في أوروبا، تستعيد بعض ما فقدته بصورة عامة، فقد حدث ذلك بسبب حاجة المجتمع الصناعي إلى الأيدي العاملة ومن ضمنها النسوية، وهو ما ساعد على خروجها من المنزل إلى حيز العمل، وفتّح لها الطريق للمشاركة في العمليات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية في ما بعد.

أما في العالم العربي، فقد بقيت وضعية المرأة بعيدة عن التحولات البنوية التي حدثت خلال القرن العشرين، لأنها كانت محكومة بعلاقات اجتماعية متخلفة وأنظمة أبوية استبدادية وأعراف وتقاليد اجتماعية تقليدية راسخة، إضافة إلى عدم تقدم لمجتمعات العربية علمياً وتكنولوجياً، مما جعل المرأة تعاني أوضاعاً اجتماعية واقتصادية متخلفة أتاحت للرجل أن يتعامل معها ضمن هذا الوضع التاريخي الاجتماعي الأبوي المتسلط . ومنذ بداية القرن الماضي، وبدخول عناصر التطور والتحديث إلى العالم العربي وبدابات النهضة الفكرية والاجتماعية، اضطر الرجل إلى أن يُرسل المرأة إلى التعليم ثم إلى العمل، بالرغم من بقاء عقلية ووعيه في مستوى اجتماعي تقليدي مكبل بقيود اجتماعية واقتصادية ثقيلة برغم التحولات والتغيرات الاجتماعية التي تحدثنا عنها

فهي ما زالت تُعاني اللامساواة مع الرجل وعدم اعتبارها جزءاً مكملاً بل تابعاً وما زال الطريق أمامها طويلاً لتحقيق المساواة بين الجنسين. (عويدات، 1996، صفحة 100)

وإذا كانت قضية المرأة لا تنفصل عن معظم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية، فإن إشكالية المرأة وأهميتها ودورها الحيوي تفوق جميع القضايا الأخرى، وذلك لأن وضعها في الإطار الحقيقي إنما يعني وضع المجتمع في وضعه الطبيعي أيضاً.

النظام الأبوي

إن صعوبة وضعية المرأة وتعدد إشكالياتها يدفعان المرء إلى مهمة طرحها للدراسة والبحث والتفكيك والنقد والكيفية التي يتم فيها معالجة هذه الإشكالية للخروج من هذه الدائرة المغلقة وكسر قيودها التي خلفتها عصور الظلام والتخلف، في مجتمع له أعرافه وتقاليد وقيمة الأبوية العريقة التي حددت مكانة كل من الرجل والمرأة ودورهما في العائلة والمجتمع والسلطة من خلال تقسيم العمل الاجتماعي المرتبط بأسلوب الإنتاج وأدواته الاجتماعية التي فرضت على المرأة أيديولوجيا تقوم على عدم المساواة بين الجنسين، وجعلت من المرأة واحداً من اثنين : إما أمّاً ولودة وزوجة مطيعة لا تخرج من دارها ولا تقصر في خدمة زوجها ورعاية أطفالها، وإما جسداً أنثوياً وأداة للإغراء والغواية. وهو ادعاء شائع أدى إلى اعتبار المرأة أدنى من الرجل، وهو ما يبرر جعلها تحت وصاية الرجل ولكن ثمة حقيقة سوسيولوجية هامة هي أنه بالرغم من الفروق والقدرات والخصائص البيولوجية بين الرجل والمرأة، فإننا لا نستطيع أن نفصل نشاط كل منهما عن الآخر، لأن كل منهما يكمل الآخر ويتممه في وحدة طبيعية وخلية اجتماعية هي أساس تكوين المجتمع الإنساني واستمراره وإن ضرورة هذه الخلية الاجتماعية التي تُنتج الحياة، تجعل من الرجل والمرأة كل حسب وظيفته وقدراته وخصائصه، كلاً متكاملًا لا يمكن الاستغناء عن جزء منه من دون الآخر، لأن الحياة لا تستديم إلا بوحدهما .

أولاً: الاضطهاد النوعي الذي يعني شيوع تفوق الرجل على المرأة وسيادته عليها. وإن السيادة والهيمنة هاتين هما من أجل تحقيق مصالحه الخاصة والعامة، التي أدت إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها واستلابها، وهو ما سبب عدم تكامل الجنسين وتكافلهما الاجتماعي (الحيدر، 2003، الصفحات 7-8).

وهناك دراسات وبحوث سوسيولوجية و أنثروبولوجية ونفسية عديدة تكشف لنا كثيراً من الحقائق والأمور التي تخص العلاقات التي تربط بين الرجل والمرأة وتنظيم العائلة ونظم القرابة والزواج وغيرها. فمفند وجود الإنسان على الأرض كانت الغريزة الجنسية من الغرائز البيولوجية الأساسية التي تحدد العلاقة بين الجنسين وتكوين العائلة واستمرار الجنس البشري، وكذلك تشكيل المجتمعات البشرية وإن من مهمات الأديان والقوانين الوضعية والعرفية تنظيم العلاقات الاجتماعية بصورة عامة والعلاقات الجنسية بصورة خاصة، وما يرتبط بها من محرمات ومباحات بما يخص المقدس والمدنس، بهدف بناء مجتمع سليم وثقافة مجتمعية يختص بها الإنسان من دون باقي الكائنات الحية. وكما هو معروف، فإن للإنسان عقلاً يفكر به، ولساناً يتكلم ويتفاهم بواسطته، وبدأ يعمل بها وينتج القوت لإدامة حياته، المرأة في المجتمعات القديمة والحديثة وتفكيك جوانبها الإيجابية والسلبية، و طرحها للتليل والنقد، وكذلك معرفة أهمية المرأة ودورها في العائلة

والمجتمع والسلطة وعوامل حركتها وثبوتها وتغيرها من وضعية اجتماعية إلى أخرى معتمدين على دراسات نظرية وميدانية في علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي والآثار وغيرها، التي زدتنا بمعلومات وافية لتحليل إشكالية المرأة من جوانبها العديدة في الماضي والحاضر، والإجابة عن التساؤلات المحورية التي تواجهها في معرفة خصوصيات عالم المرأة واختلافه عن عالم الرجل والفروق البيولوجية والاجتماعية والنفسية التي أدت إلى تقسيم العمل الاجتماعي بينهما، وما يسببه من تعاون وتنافس وصراع يرتبط بالدرجة الأولى، بوسائل وعلاقات الإنتاج ونشوء الدولة التي أدت إلى سيطرة الرجل على المرأة وبالتالي على المجتمع والسلطة، وما أفرزته من قيم ومعايير أبوية وسببته من اختلاف وصراع بينهما.

كما هو معروف، ففي معظم المجتمعات في العالم، قديماً وحديثاً، يختلف عالم المرأة عن عالم الرجل، وبصورة عامة يُعتبر عالم المرأة ضيقاً ومحاضراً بالنسبة إلى عالم الرجل. وإذا كانت المجتمعات الصناعية رأسمالية أم اشتراكية، هي مجتمعات أبوية - ذكورية، فإن المجتمعات العربية أكثر أبوية. فالنساء في العالم العربي يخضعن لسلطة قانونين متناقضين: الأول هو قانون عام لا يفرق بين المواطنين على أساس الجنس والدين والقومية والطبقة ويعطيهم حقوقاً متساوية تقريباً، والثاني يقوم على التمييز على أساس الجنس، ففي اللحظة التي تتخطى فيها المرأة عتبة دارها تخضع لقانون العرف والتقاليد وتصبح جنساً آخر ليس له حق المطالبة بحقوقه المشروعة. (الحيدر، 2003، صفحة 15).

إن هذه الوضعية السلبية التي وصلت إليها المرأة واللامساواة بين الرجل وبينها، أثرتا وتوترتا في خلق تصوّر سلبي عن المرأة نفسها، وهو ما يفوق تصوّر الرجل عن نفسه بأنه أعلى منها درجة. وهذا التصوّر يعيق إمكانية تحقيق ذات المرأة وذات الرجل في النصف الأول من القرن التاسع عشر قد أفرز اتجاهات فكرية جديدة، خصوصاً بعد الثورة البرجوازية التي، عمت أوروبا وغيرت كثيراً من ملامح أوروبا الفكرية والحضارية، وأعطت زخماً جديداً لعصر التنوير الذي تمخض عن نظريات جديدة في فلسفة التاريخ والمجتمع. كما غيرت نظرية التطور الجارلس دارون و الفلسفة الوضعية لأوكست كونت وأفكار فيورباخولودفيغ بشتتر وغيرها، المناخ الفكري الذي ساد أوروبا حتى ذلك الحين، وبذلك اقتربت فلسفة التاريخ المثالية، التي وقف في قمّتها فردريك هيغل، من بداية نهايتها وقد استند في نظريته إلى المجتمعات القديمة التاريخية و الدراسات الأثنوغرافية الوافية التي كتبها المؤرخون والسواح الإغريق والرومان عن العالم القديم، وبصورة خاصة ما كتبه هيرودوت عن مصر والعراق وفينيقيا والأناضول في تاريخ الأسم القديمة وأساطيرها. كما استند إلى الأساطير القديمة المختلفة والرموز المنقوشة على المقابر، وكذلك الآثار القديمة التي. أكدت على المادة الطبيعية للمرأة، وكونت اللبنة الأساسية لفلسفته، ووجهت انتباهه إلى أهمية المرأة ودورها في المجتمعات القديمة. (الحيدر، 2003، صفحة 21)

وقد اعتقد باخو فن أن للمرأة طبيعة لا ينفصل فيها الحسي عما فوق الحسي، كما ظهرت صورة المرأة عنده في أشكال ثلاثة متلاحمة مرة واحدة: كامله، والأم الأرض، ثم الأم - المادة الأصل.

إن دراسة باخوفن للأساطير والرموز القديمة وبصورة خاصة أسطورة إيزيس وأوزوريس المصرية كانت قد أثارت انتباهه الشديد وقادته في الأخير إلى هدفه اللاواعي وهو الكتابة عن حق الأم وسلطتها في المجتمعات القديمة، وكذلك عن الصراع الأزلي بين الرجل والمرأة وفي أواخر حياته، اتجه باخوفن إلى الكتابة عن العالم القديم، وبصورة خاصة عن التاريخ الروماني، مقابل ما كتبه تيودور مومسن الذي نهج فيه منهجاً وضعياً في تحليله لفلسفة التاريخ. ولكن باخوفن لم يكمل، في الحقيقة ما بدأ به، وتحول إلى الكتابة عن الأساطير الرومانية والشرقية، محاولاً إكمال ما بدأ به في دراسته حول حق الأم، متشجعاً بما صدر حينذاك من أمهات الكتب الأثولوجية، خصوصاً كتاب هنري مين (1822 - 1888) القانون القديم وكتاب ماكلينان ((1827-1881) الزواج البدائي، وكتاب روبرتسون سمت العائلة والزواج في البلاد العربية القديمة. كما صدرت له مجموعة من الرسائل حول نظم القرابة في العالم القديم كتبها بين عامي 1880 و 1886. (الجوري، 1993، صفحة 200)

2- المرأة في الدراسات الأثروبولوجية القديمة

حق الأم وسلطة المرأة في العائلة والمجتمع: نظرية باخوفن: حق الام

إن «حق الأم، كحق طبيعي لها، هو من أعقد المشاكل الأثولوجية التي لم تخطر على بال أحد حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد أصدر باخوفن كتابه حق الأم (عام 1869) الذي تجاوز ألفاً ومنتى صفحة، إن شكل العائلة الأبوية لم يكن أقدم شكل معروف فحسب بل كان مماثلاً تماماً لشكل العائلة الثنائية الذي ساد آنذاك، باستثناء تعدد الزوجات، ذلك الشكل الذي لم يطرأ عليه أي تطوّر تاريخي. وإن أكثر ما ذكره، هو إمكان وجود مرحلة من العلاقات الجنسية غير المنظمة التي سادت في المراحل الأولى البدائية من حياة الإنسان . وهذا ما أطلق عليه علماء الأثروبولوجيا الانتساب إلى خط الأم اظهر الاحترام والتقدير وسيطرة المرأة على المجتمع، مع بدايات اكتشاف الزراعة واستقرار الإنسان على الأرض وظهور الدين، لأن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة. وهكذا، تطوّرت سلطة المرأة، التي هي في الحقيقة، حق طبيعي لها، وانتهت بذلك مرحلة معاملة المرأة وامتهانها من قبل الرجل قسم باخوفن التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية إلى ثلاث مراحل من الصراع الجنسي حول السلطة، وهي:

تعتبر هذه المرحلة الفترة المظلمة من تاريخ المجتمعات الإنسانية التي تمثلت بسيادة المادة المطلقة مادة الأرض التي ترمز إلى فكرة الأمومة. وهذه المرحلة التي نعتها باخوفن بمرحلة سلطة الأم الطبيعية أو مرحلة الإباحية الجنسية» (Die hetarische (الحيدر، 2003، صفحة 30) Gynaikokratie

وقد أشار باخوفن إلى أن المادة المطلقة تتضمن بنفسها قوة الفكر باعتباره جزءاً منها وعليه يمكن النظر إلى العلاقة بين المادة والفكر مثلما يُنظر إلى العلاقة بين الأرض والماء، فالماء ومثلما قدس الإنسان الأرض، قدس الأثني – الأمان الأم هي الأرض - الأصل التي تسلّلت من الرجل الذي وُلد منها. ومثلما الأرض الولادة، نشتهي الأثني الخلق، لأنها رمز الخصوبة والعتاء وللأثني

أنتج الدين واجب العطاء عند الولادة. وهكذا قدّس الإنسان الأرض - الأم وكيف حياته على صورتها. ولم تقلد الأرض الأنثى، بل قلّدت الأنثى الأرض، فالأنثى هي صورة وخليفة للأصل، والنقدس لها الأساس في سلطتها وارتفاع مكانتها الدينية والاجتماعية وسياستها للدولة وإدارتها للطوقس الدينية والأنثى هي الأصل»، لأنها تتقدّم على الرجل، بعطائها ولأن الرجل هو نتيجة ذلك العطاء. فالابن هو زوج المستقبل الذي يُخصب بدوره المرأة ويصبح أباً. فالتنظيم القرابي إذاً، يجد مكانة في أحضان الأم، وعنه تطوّرت جميع التنظيمات الاجتماعية الأخرى. وبهذا، يصبح حق الأم هو حق الحياة للمادة الأرض .

إن تبوء المرأة مكانةً اجتماعية ودينية عالية في المجتمعات القديمة، كحق لها، لا يزال يثير كثيراً من السجال العلمي المشوب بالتأييد تارة، وبالرفض تارةً أخرى. ومع كثرة المهتمين بموضوع المرأة ومكانتها في المجتمعات القديمة فليس هناك اختبارات علمية وبحوث ميدانية متكاملة وكافية ولا حتى اتفاق على مضامينها. (عويّدات، 1996، صفحة 77)

والحال ما يزال محور السجلات العلمية يتركز حول نظرية باخوفن، التي ما تزال تُعتبر حتى اليوم نظرية معاصرة بالرغم من مرور أكثر من قرن على ظهورها. والحقيقة أن ماثرة باخوفن هي أنه اكتشف مرحلة حضارية قديمة ومهمة في تاريخ المجتمعات الإنسانية التي أطلق عليها مرحلة حق الأم» التي سادت فيها سلطة المرأة في المجتمع القديم.

وإلى جانب الأنثروبولوجيين المخالفين لآراء باخوفن، رفض مؤرخ الأديان المعروف نيلسون نظرية باخوفن ودحضها وكذلك عالم الآثار، وأكيدة على جميع المجتمعات لأنه لا بد من توفر شروط معينة. فمن الضروري توفر نوع من تبادل الأدوار الاجتماعية بين الرجال. ففي مكان الأب الذي يقوم بدوره القيادي في العائلة الأبوية المعروفة اليوم، يقوم أخو الأم (الخال) بذلك الدور غوردنجايلد الذي أكد أن المكتشفات الأثرية لعصور ما قبل التاريخ وما بعدهافي نظام الانتساب إلى خط الأم وترتبط بهذا النظام عادة تبادل الأدوار والعلاقات في المؤسسات الاجتماعية التي يقوم بها الخال تجاه أبناء أخته. وعلى المرء أن يلاحظ الاختلاف علاوة على خط الانتساب في الإرث وحقوق الألقاب والاحترام المتبادل والسلطة الحقيقية، أن القرابة ربما تُحدّد عن طريق الانتساب إلى خط الأم، إلا أنه، في الوقت نفسه، به، تكون قيادة العشيرة في خط الانتساب إلى الأب. (شريف، 2003، صفحة 37)

لم تؤيد بعد وجود نظام سلطة الأم، وأن آراء باخوفن هي في الأغلب احتمالات غير موثوقة، لأن تاريخ المجتمعات القديمة يؤكد أن المرأة كانت تحت سلطة الرجل دومان وقد أيد وسترمارك في كتابه تاريخ أنظمة الزواج رأي غوردنجايلد، في أن تاريخ المجتمعات البشرية القديم لم يثبت ارتفاع مكانة المرأة السياسية على مكانة الرجل، لا في المجتمعات التي كان الانتساب فيها إلى خط الأم، ولا في العائلة والحال، هناك معلومات أثنوغرافية ليست قليلة جمعها أنثولوجيون قداماء ولا في السلطة. وقد دعم هذا الرأي عالم الأنثروبولوجيا المعروف لوي وقال إنه ومعاصرون، تشير إلى وجود عدد غير قليل نسبياً من المجتمعات التي يسود فيه على نظام أمومي حقيقي على نظام حق الأم، وافية اعتمد فيها على الأساطير والرموز الأثرية القديمة، واعتباره مكتشف» سادت في تلك المرحلة القديمة والمبهمة من تاريخ المجتمعات الإنسانية، باعتباره مرحلة احق) الأم وتشخيصها، فإن ما قدمه لم يكن كافياً من الناحية العلمية، ولذلك مصطلحاً غير موفق. وإن

التطور الذي عناه من مرحلة الإباحية الجنسية إلى مرحلة لا يمكن أن يطلق المرء على تلك المرحلة صفة سلطة المرأة بدليل أن ما جاء به باخوفن ليس سوى أساطير، تشير إلى أهمية المرأة ومكانتها العالية في المجتمع القديم، وليست وقائع تاريخية ثابتة ومن المعلوم أن الاعتماد على الأساطير والرموز وحدها، يشكل معضلة ليست بسيطة في إمكانية تصديق أو قابلية تطبيق نظام اجتماعي - كنظام حق الأم ... ومما لا شك فيه أن اعتبار الأساطير والرموز تاريخ لا يستند إلى برهان كاف لأن الأسطورة لا تكرر الحقيقة دوماً، وربما تكون تعبيراً جزء من الحقيقة أو تعزيزاً لها، أو تعليلاً لأحداث وقعت فعلاً أو قد يُتوقع حدوثها . كما أن استغلال المرأة من قبل الرجل وكذلك حقها الطبيعي في التحرر من سيطرة الرجل، لا يكفيان لأن يكونا أساساً قوياً يمكن الاعتماد عليه لبناء هيكل نظري كما فعل باخوفن). (الحيدر، 2003، صفحة 31)

3- الدراسات الأثروبولوجية المعاصرة : المجتمعات الزراعية والانتساب إلى الأم

يذكر الأثروبولوجي المشهور موردوخ في الأطلس الأثوغرافي، أن هناك أكثر 862 مجتمعاً تقليدياً قديماً وحديثاً، منذ الإغريق والرومان والمصريين وحتى العصر الحديث، ومن هذه المجتمعات ينتسب أفرادها إلى خط الأب، وهي الأكثر عدداً، ومنها من ينتسب إلى خط الأم، أو ينتسب إلى كليهما. (ستروك، 1997، صفحة 23)

تعتمد المجتمعات التي يكون الانتساب فيها إلى خط الأب، على الصيد في نشاطها الاقتصادي. فهي مجتمعات عشائرية رعوية يتراوح عددها مجتمع. وقسم آخر من هذه المجتمعات يكون الانتساب فيه إلى خط الأم أو إلى خط الأب وهي مجتمعات ذات نظام مختلط في الانتساب ويتراوح عدد هذه مجتمع تنتشر في شمال أميركا وجنوبها وأفريقيا وآسيا ومنطقة البحار الجنوبية الآسيوية. وهذه المجتمعات لا يمكن أن تطلق عليها مجتمعات ذات سلطة أمومية .

يهدف باخوفن، في هذا المخطط، إلى تصوير المراحل الأساسية التي مرت بها المجتمعات البشرية في نشوئها وتطورها وتغير المبادئ الأساسية التي طبعت تلك المراحل بطابعها الديني، لأن جميع أشكال الحياة الإنسانية القديمة، بل كل الكون والوجود، بحسب باخوفن مطبوع بطابع ديني. فالدين هو المحفز الأول لتبديل الحياة الاجتماعية وتغيرها. أما محتوى التطور التاريخي فهو الصراع الدائم بين والفكر، بين الظلمة، والنور بين السماء والأرض، وبين الذكر والأنثى، ثم انتصار الفكر - كمبدأ للنور - على المادة - كمبدأ للظلمة ،، وانتصار الذكر على الأنثى في الأخير.

المادة تمثل تطوري القرن التاسع عشر، أكد باخوفن أنه في البداية كانت المادة المطلقة رمزاً لفكرة الأم، وأن هناك قانوناً عاماً يتحكم في تطور الجنس البشري هو قانون التقدم من المادة المطلقة إلى المادة الخام أي من المادة إلى ما فوق المادة، ومن الطبيعي إلى ما فوق الطبيعي، ومن المادة الخام إلى الفكر. وما يبدأ خاماً ينته إلى غير الخام. أما هدف التطور الإنساني، عند باخوفن، فهو خلاص الفكر من المادة ومن ظواهرها الطبيعية وارتفاع الوجود الإنساني على قانون الحياة المادي.

غير أن سلطة المرأة لم تدم حيث خرج حقها الطبيعي على حق الدولة وحق الثالث قبل الميلاد، والفيلسوف الإغريقي نيكولوس فون دمكوس (الدمشقي) ، الذي أوجد أول تنظيم حضاري جديد

للحياة الجنسية، وأخذ شكل عاش في القرن الأول قبل الميلاد. وقد كتبوا عن مجتمع الليكير ؛ ذلك الشعب الذي الزواج الأحاديinzeline, Monogamy في الأخير رجلاً واحداً مع امرأة ينتسب إلى جزيرة كريتا ومنها هاجروا إلى آسيا الصغرى واحدة.

إن المرحلة التاريخية القديمة التي سيطرت فيها المرأة على المجتمع، بحسب هيرودوت، الذي وصفهم وصفاً أثنوغرافياً وافياً حيث قال: «الليكير قوم لهم عادات باخوفن، هي التي وصفها المؤرخون الكلاسيكيون والتي تمثلت بمجتمع الليكير أو وتقاليدها لا نجد لها عند غيرهم من الأقوام والأمم. إنهم ينتسبون إلى أمهاتهم وليس إلى الليكيرين Lykier في آسيا الصغرى. ففي ذلك المجتمع أدلة غنية ذات محتويات آباءهم. وعندما يسأل المرء أحد أفراد عشائر الليكير إلى من ينتسب، فسوف يجيب مؤكدة، وإن واجبنا هو تتبع ما جرى في التاريخ القديم باعتباره أساساً متيناً لما في الحال بأنه ينتسب إلى أمه أو أم أمه (جدته). وعندما تتزوج إحدى النساء عبداً فإن سن تعرض له في ما بعد. أطفالها يتمتعون بكل حقوق الأحرار، ولكن حين يتزوج رجل حرّ إحدى العبدات أو ولكن بعد انتشار الزراعة ونشوء المدن أخذت المرأة تفقد حقها الطبيعي الغريبات عن العشيرة، فإن الأطفال يُعتبرون غير شرعيين ... والليكير يضعون المرأة بالتدريج، حيث فقدت أولاً سلطتها في المجتمع، ثم في العائلة، ثم في الدين. وهكذا بدأت مرحلة حضارية جديدة عليا في تاريخ التطور الإنساني، هي مرحلة سلطة الأب البطريركية (Patriarchat) التي تمثلت بالدولة الرومانية. وقد أشار باخوفن إلى أن المرحلة التي سبقت سلطة الأب، مثلت المرحلة الذهنية لسلطة الأم والتي تمثلت بارتفاع مكانة المرأة من خلال سحر الأمومة، إلى مرحلة جمالية أعلى ووجود منظم أسمى، ولكن الإباحية الجنسية التي طغت على تلك المرحلة كانت قد مهدت السبيل لسقوطها بسبب سلوكها المدمر. (الجوري، 1993، صفحة 55)

استند باخوفن، في دراساته إلى معلومات تاريخية وأثنوغرافية وافية جمعها عن الأقوام والحضارات في العالم القديم، إضافة إلى عدد كبير من الأساطير والرموز والآثار القديمة. وقد اعتمد بصورة خاصة، على ثلاثة مؤرخين إغريقيين وفيلسوف واحد هم هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (محبوب، 1990، صفحة 213)

5-اسهامات المرأة المسلمة

جاء القرآن الكريم برسالة سامية ومقاصد كبرى منها طاعة الله وعمارته الأرض وبناء حضارة. ومقومات هذه الأمور العلم الذي صرح به القرآن الكريم في أول سورة نزلت وهي : أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ... (فكانت إستجابة الرجال والنساء إستجابة إيمان وتصديق، وإستجابة تعلم ومساهمة فيالخدمة الإنسانية. وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية، حضارة لها مقوماتها وأهدافها، وإذا كانت هذه الحضارة قد وصلت إلى أصقاع الدنيا ونشرت الإسلام العظيم والأخلاق والعلم، فإنّ المرأة ساهمت بنصيب كبير، وكان لها دور فعّال في بناء هذه الحضارة العظيمة بكل ما تملك من علم، وخلق ومال وحسن تربية لأبنائها، واهتمامها بشؤون أمتها . (عقيلة، 2005، صفحة 42)

وقد يختفي المهاجمون للإسلام والمطالبون بحقوق المرأة على النمط الغربي وراء التاريخ، الذي وجدت المرأة العربية نفسها عليه في القرون المتأخرة، وهكذا يعودون للبحث عن مقدمات

الإستبداد وظلم الواقع على المرأة في التراث، وكأنهم ينسون أن التاريخ متعدد وليس متمثلاً مكرراً، فالتاريخ لا يعرف الثبات فهو متغير من حال إلى حال، لكل حقبة التاريخ الإسلامي وليس صحيحاً بدليل وجود عدد كبير من النساء لم يكن حريماً بالمفهوم السلبي للكلمة، بل كن حرائر تبنين بيوتاً وأسراً وحضارة، وساهمن في خدمة الإنسانية من كل النواحي العلمية والثقافية والإجتماعية. (عقيلة، 2005، صفحة 45)

من سماحة الإسلام وتكريمه للمرأة، لم يفرق بين تعليمها وتعليم الرجل والنصوص كثيرة من هديه قولاً وفعلًا. فجعل « طلب العلم فريضة على كل مسلم فالخطاب الشرعي حث على التعلم والتحصيل العلمي، وهذا الخطاب عام يشمل الذكور الإناث مع مراعاة الضوابط الشرعية المعروفة عند أهل العلم المتعلقة بالفروق بين الجنسين.

أسهمت المرأة المسلمة في التطور العلمي والثقافي لمجتمعها وكان لها حضور وإبداع في مجالات علمية .

المراجع

قائمة المراجع

- ابراهيم الحيدر. (2003). النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب . بيروت لبنان : دار الساقي.
- جون ستروك. (1997). البنيوية وما بعدها . الكويت : عالم المعرفة .
- حسن عويدات. (1996). المرأة العربية في الدين والمجتمع ، عرض تاريخي. مصر : الأهالي للطباعة و النشر .
- حسين عقيلة. (2005). مجالات اسهامات المرأة المسلمة في العلوم والتربية والثقافة الاسلامية . الجزائر : مكتبة دور .
- فانتن شريف. (2003). الأسرة والقرابة ،دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية . الاسكندرية ، مصر : دار الوناء للطباعة والنشر .
- فيلب برنو، و آخرون. (1980). المجتمع والعنف ، ترجمة إلياس زحلاوي. مصر: المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع.
- محمد الجوري. (1993). دراسات أنثروبولوجية معاصر . الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- محمد عبدو محجوب. (1990). انثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

